الشيب والشباب
في
شعر الشريف الرضي

بقلم : الاستاذ عز الدين آل ياسين

—٣—

قلنا ان الشريف الرضي يمقت الشيب ويستثقله لانه زائر يستضيف صاحبه فلا يرتحل ولانه يظهر مايبرزه الشباب من العيوب والهنات ، ولانه رائد الاجل ، ولانه عون للعاذلين واوردنا شواهد هذا من شعر الشريف ، ونضيف الآن علة اخرى من هذه العلل التي ينتزعها الشريف من خياله الخصب ويصورها بريشته الصناع فهو يعلن أنه يكره الشيب لانه يروع الظباء . وينفر الغواني فيصددن مذعورات كأن ذئب غضا يربع بودهن ، على حين ان هذا الفتى الاشمط الذي يصدفن عنه اليوم وينفرن منه تفور الصحيح من الاجرب ، كان منهن منذ عهد قريب بأعز منزلة العشير الحبيب ، يدعوهن فيستجبن ملبيات مبادرات :

ولقد اكون من الغواني مرة ... باعز منزلة الحبيب الأقرب
أقتادهن بفاحم متخايل ... فيريبني ويرين لي ويزين بي
واذا دعوت اجبن غير شوامس ... زفف النياق الى رغاء المصعب
فاليوم يلوين الوجوه صوادفا ... صد الصحاح عن الطلي الاجرب

واذا لطفت لهن قال عواذلي ذئب العضاة يربغ ودالربرب

وما اروع تشبيهه الغواني بالخيالات تزور في الليل ـ ليل الشباب ـ وتزول عند مطلع النهار ـ نهار الشيب ـ :

وكن طربي الى لقائي ... اذ ليل رأسي بلا دراري
فذ اضاء المشيب فودي ... تورع الزور عن مزاري
مثل الخيالات زرن ليلا ... وزلن مع طالع النهار

وهو يكرر تشبيه ذئب الشيب الى البيض بذئب الذئب الى الريم ، وغرضه من ذلك الاغراق في تهويل رعب الفتيات من بياض الذقن حتى لكأنهن ازاءه فرائس وحش ضار :

ان ذئبي الى الغواني بشيب ... ذئب ذئب الغضا الى الارام
كن يبكين قبله من وداعي ... فبكاهن بعده من سلامي

ويعلن احيانا في صراحة محببة انه ما كان يبالي ابيضاض العارض واشتعال الرأس لو دام معها ود الاوانس ، ولكن ماذا يصنع والشيب ووصل البيض ضدان لا يجتمعان . يطلع هذا فيغور ذاك :

لو دام لي ود الاوانس لم ابل ... بطلوع شيب وابيضاض غدائر
لكن شيب الرأس ان يك طالعا ... عندي فوصل البيض اول غائر

وقد يتخيل البيض من الغداري ضرائر البيض من العذار فاذا نزلت هذه بأرض رحلت عنها تلك :

كأنما البيض من لداتي ... ضرائر البيض من عذاري
ان خيمت هذه بارض ... تحملت تلك عن ديار

وهكذا يذل الشيب صاحبه امام الكواعب فيبخلن عليه حتى برد السلام . بعد ان كان يدل عليهن بغضارة الشباب وطراوة الاهاب :

القى بذل الشيب من بعدها ... من كنت القاه بدل الغلام
كم جدن بالاجياد لي والطلى ... فاليوم يبخلن برد السلام

****

لقد رأى بعارضيك ما احب العاذل ... واسترجعت منك اللحا ظ الخرد العقائل
واغمدت عنك نصو ... ل الاعين القواتل
فلا الدماليج يقعقعن ولا الخلاخل ... فان وعدن فاعلمن ان الغرام الماطل
ووعد ذي الشيبة بالوصل غرور باطل

****

ودلاك الشباب على الغواني ... فبادر قبل يغرمك المشيب

****

خزائن الكتب القديمة في العراق (١)

— ٢ —

بقلم : الاستاذ كوركيس عواد

خزانة الواقدي

أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي أشهر من أن يعرف . فقد كان (عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والاخبار (٢)

كان الواقدي من أهل المدينة ، ثم انتقل الى بغداد وولي القضاء بها للمأمون بعسكر المهدي ، توفي ببغداد سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م) . وقد صنف كثيراً من الكتب النفيسة لم ينته إلينا منها إلا القليل منها .

وقد كان للواقدي خزانة كتب حافلة بآلاف التصانيف أشار اليها غير واحد من المؤرخين . فقد نقل أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : « حدثنا محمد بن أحمد ابن يعقوب بن شيبة قال : سمعت أبي يقول : لما انتقل الواقدي من الجانب الغربي الى ههنا ، يقال انه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر (٣)

«١» مستل من كتاب « خزائن الكتب القديمة في العراق » لكاتب المقال

«٢» الفهرست (ص ٩٨ طبعة فلوجل في ليبسك سنة ١٨٧١ م

«٣» تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ٥) وهذا الخبر عينه نقله ياقوت الحموي في معجم الادباء (٧ : ٥٧ — ٥٨ طبعة مرجليوث)

مشيب كما استلى صدر الحسا ... م لم يرو من لبثه في القراب

نضا فاستباح حمى الملهيات ... وراع الغواني بظفر وناب

والوى بجدة أيامه ... فأصبح مقذى لعين الكعاب

تستر منه مجال السوار ... اذا ما بدا ومناط النقاب

وكنت اروق ماء الوصال ... وبحر الشبيبة طاغي العباب

ويطيل التحسر والتفجع على الشباب وسالفات عهوده ايام كان لا يزال في نضارة اهابه وغضارة عوده ويشبه تلك الايام بانفاس الشمول والشمال . لانها مسعفة بالقرب حافلة بالوصال :

وايام الشباب مساعفات ... جمعن لنا وايام الوصال

كانفاس الشمول كرعت فيها ... على ظمأ وانفاس الشمال

ويستقصر مدة الشباب ويستقل عهده ويشكو سرعة انقضائه ويشبهه بظل الطائر لأن من طبيعة الطائر الحركة الدائمة التي تمحو ظله قبل استقراره :

واها على عهد الشباب وطيبه ... والغض من ورق الشباب الناضر

واها له ما كان غير دجنة ... قلصت صبابتها كظل الطائر

سبع وعشرون اهتصرن شبيبتي ... والن عودي للزمان الكاسر

ويحيي هذا الضيف وان كان غادرا :

واها وهل يغني الفتى ... بكاء عين لأثر

يا حبذا ضيفك من ... مفارق وان غدر

ومن يك ناسيا عهدا فاني ... لعهدك يا شبابي غير ناسي

فان العيش بعدك غير عيش ... وان الناس بعدك غير ناس

ويأسف على سواد محبوب يمر بالرأس مر الغمام ، قصير الليث قليل المقام ، فاذا علقت شرارة بشعرة منه اشتعل سائره شيبا :

سواد يعجل زور البياض ... علوق الضرام برأس الذبال

ومر على الرأس مر الغمام ... قليل المقام سريع الزيال

ويتخيل الشباب طريدة للشيب الجاد في اثره فيود لو كان ذلك الطارد العجل فداء طريدته :

ولى الشباب وهذا الشيب يطرده ... يفدي الطريدة ذاك الطارد العجل

(للبحث بقية) عز الدين آل ياسين